مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية ثقافية تصدر سنوياً مؤقتاً

السنة الأولى - العدد الأول

1395 - 1394 - 1393

1985 - 1984

تصدر عن كلية الدعوة الإسلامية

طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

دراسات تربوية

موقف الإسلام من تعليم الراشدين

اعداد :
د . جيلاني جبريل

يقصد بمعرفة موقف الإسلام من تعليم الكبار هو معرفة ما إذا كان هذا الدين قد أولى عناية خاصة واهتماماً كبيراً بتعليم الراشدين من أبناء المسلمين ، وما إذا لقي العلم وأهله حظوة عنده .

يمكن لنا أن نتحقق من ذلك من خلال معرفتنا لما قد جاء في كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله الكريم والصحابة الأبرار في هذا الشأن .

أما فيما يتعلق بكتاب الله فإن آيات كثيرة قد جاءت تحث وتشجع جماعة المسلمين كباراً كانوا أو صغاراً على أن يتعلموا . وإن كان يكفي الكبار منهم اهتماماً وتشجيعاً إن تُنَزَّل أول آية على محمد صلى الله عليه وسلم تدعوه إلى أن يقرأ وهو قد تجاوز مرحلة الطفولة بعشرات السنوات . ولم تنزل عليه عندما كان طفلاً أو صبياً . الأمر الذي يدعو إلى القول بأن الإسلام قد ألزم الكبار القراءة ، والتي هي إحدى مقومات التعليم وركائزه قبل أن يلزم الصبية أو الفتيان بذلك . والآيات هي : ﴿ **إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ (العلق : 1-5) .

فقد تضمنت هذه الآيات الكريمة ـ التي أنزلها الله على محمد الرجل البالغ العاقل ـ كلمات القراءة ، والقلم والعلم والتعليم ؛ وقد تكررت في ست مواقع مختلفة . وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على مدى إهتمام الإسلام بتعليم الكبار لهذه الأمور .

وإنه ليس من قبيل الصدفة أن تكون كلمة القراءة هي أول أمر يوجه من الله إلى عبده محمد ليقوم به ، بل أمره سبحانه بذلك لإدراكه أهمية القراءة التي تقود إلى التعليم والمعرفة . وليدرك المسلمون الراشدون فيما بعد مدى أهمية العلم والتعليم الذي تعتبر القراءة من مقوماته وأسسه الرئيسية كما ذكرت سابقاً . هذا كما وردت كلمة القراءة في سور متعددة من كتاب الله عز وجل مثل قوله تعالى : ﴿ **سنقرؤك فلا تنسى** ﴾ (الأعلى : 6) وقوله : ﴿ **فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة** ﴾ (المزمل : 20) .

ويبرز اهتمام الإسلام بتعليم الراشدين من خلال الأهمية التي حظي بها العلماء عند الله عظمت قدرته . فقد نظر سبحانه وتعالى إلى أهل العلم والمعرفة نظرة تختلف تمام الإختلاف عن نظرته إلى غيرهم ممن لم ينالوا نصيباً من العلم حيث قال : ﴿ **هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ (الزمر : 9) . ولكي يرغب رجالات المسلمين في أن يسعوا في سبيل العلم والمعرفة فإنه سبحانه وتعالى قد أنزل العلماء منزلة عالية في الدنيا والآخرة حيث قال : ﴿ **يرفـع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ (المجادلة : 11) . وليس هذا فحسب بل إن الله قد قرن إسمه الكريم باسم العلماء وذلك تقديراً لهم ورفعة لمكانتهم حيث قال تبارك اسمه : ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم** ﴾ (آل عمران : 18) . وفي هذا الصدد يقول أحد الباحثين : « ويكفي تنويهاً بالعلم ورفعاً لقدره وقدر أهله أن كان صفة من صفات الله سبحانه وتعالى فهو جل شأنه عالم وعليم وعلام »[1] .

وإن خشية الله من المناقب الحميدة التي يأمل كل مسلم أن يتصف بها ، ولكن الله في محكم التنزيل قد خص بها العلماء دون غيرهم وذلك تكريماً لهم وتشريفاً ، وكذلك تشجيعاً لبقية المسلمين الراشدين بأن يشعروا بأهمية العلم ، وهي دعوة لهم بأن يجاهدوا في سبيله ويتعلموا حيث قال : ﴿ **إنما يخشىٰ الله من عباده العلماء** ﴾ (الزمر : 9) . وقال : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾ (العنكبوت : 43) .

أما ما جاء في الأحاديث النبوية ومأثور الصحابة وأقوالهم في هذا الصدد فهو أيضاً ليس بالشيء القليل ، وإنه لا يختلف مع ما جاء في كتاب الله عز وجل حيث ركز كثيراً على أهمية تعليم الكبار وحثّ جميع المسلمين كباراً كانوا أو صغاراً ، رجالاً أو نساء على أن يقبلوا على التعليم وأن ينهلوا من مختلف المعارف قدر المستطاع دون التوقف عند مرحلة من مراحل العمر المختلفة ودون الأقتصار على أماكن محددة، ودون التوقف عند بلوغ مستوى معين. يقول ﷺ في هذا الخصوص: «أطلبوا العلم من المهد الى اللحد » ويقول : « ما يزال المرء عالماً ما طلب العلم ، فإن ظن أنه علم فقد جهل » وقد أعتبر النبي طلب العلم في منزلة الفرائض التي ينبغي على المسلم الراشد أن يقوم بها ويؤديها على أكمل وجه وذلك بقوله : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، ولا يقصد بكلمة مسلم في هذا المقام جنس الرجال فحسب ، بل يقصد به جنس الرجال والنساء معاً .

هذا كما أعتبر ﷺ طالب العلم مثل المجاهد في سبيل الله ، أو الداعي إلى نشر دينه الحنيف حيث قال : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يعود »[2] . واعتبر كذلك السفر في سبيل الحصول على العلوم النافعة من الأعمال التي تساعد المسلم على بلوغ الجنة إذ يقول : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقاً إلى الجنة »[3] .

ومن حرصه عـلى ألا يضيّع المسلمون أيّ فرصة تتاح لهم كي يتعلموا قوله : « إذا مررتم برياض

الجنة فارتعوا ، قالوا : وما رياض الجنة يا رسول الله ؟ قال : مجالس العلم »[4] . وإن العلم في نظر نبينا الكريم ذو فائدة عظمى إذ يسعد صاحبه في الدارين الدنيا والآخرة حيث قال : « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم »[5] كما أن النبي الكريم قد رغب كافة المسلمين في التزود بمختلف أنواع المعارف والعلوم ، وقد حذر الذين وهبهم الله علمًا من أن يبخلوا به على غيرهم من أبناء أمتهم بأشد أنواع العذاب يوم القيامة حيث قال : « من علم علمًا وكتمه ، ألجمه الله بلجام من نار » . وقد قال في هذا الشأن مرغباً أهل العلم على أن يفيدوا غيرهم بعلمهم : « لا حسد إلاّ في إثنتين رجل أتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل أتاه الله حكمة [أي معرفة] فهو يقض بها ويعلمها » .

فقد قال ﷺ بذلك حتى لا يبخل من أتاه الله علمًا على غيره بعلمه بغية أن ينتشر العلم بين أبناء أمته وبغية أن يكفل لكل طالب علم كبيراً كان أو صغيراً شخصاً يعلمه .

هذا وقد قاده حرصه على نشر العلم بين المسلمين الكبار إلى تسجيل ثلاثة مواقف جليلة هي :

ـ أنه فضل مجالس العلم على مجالس العابدين والداعين والمتضرعين . فقد قال في هذا الصدد : « أما هؤلاء [ويقصد بهم جماعة التعبد والتضرع] فيدعون الله ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم ، وإن شاء منعهم . وأما هؤلاء [أي جماعة مجالس العلم] فيعلمون العلم والفقه ، ويعلمون الجاهل ، فهم أفضل ، وإنما بعثت معلمًا»[6] وانظم إلي مجالس العلم . وقال «قليل العلم خير من كثير المال » .

ـ أنه فضل أن يقوم كل أسير من أسرى بدر ممن يجد في نفسه الكفاءة بتعليم عشرة من أميّي المسلمين كفدية لنفسه بدلاً من افتدائها بالأموال .

ـ أنه جعل مسجده المعروف بمسجد قباء والذي بناه أسعد بن زرارة ـ وشارك ﷺ في تشييده بنفسه ـ مكاناً يؤمه المسلمون الراشدون من جميع الأصقاع لكي يحفظوا القرآن الكريم ، ويتدارسوا معانيه ويتعلموا شؤون دينهم ودنياهم . فهل هناك تشجيع واهتمام أكثر من هذا ؟ !!

وبالرجوع إلى مأثور الصحابة وأقوالهم نجد أن عليّ بن أبي طالب لا ينظر إلى مكانة الفرد ورفعة قدره من خلال ماله أو حسبه أو نسبه ، وإنما ينظر إليها من خلال ما تحصل عليه من علم ومعرفة حيث يقول : « قيمة كل إمرىء علمه »[7] . ويقول كذلك مخاطباً كميل بن زيادة : « يا كميل العلم خير لك من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق »[8] .

ومن تشجيع عمر بن الخطاب للعلم تفضيله إياه على المناصب والوظائف . كان رضي الله عنه يحرّض المسلمين على ألاّ يتقلدوا أي نوع من الوظائف قبل أن ينالوا قسطاً من العلم . فقد قال في هذا الصدد : « تعلموا قبل أن تسودوا »[9] وقد قال ناصحاً الراشدين من أبناء المسلمين : « تعلموا العلم

وعلموه الناس ، وتعلموا له الوقار والسكينة ، وتواضعوا لمن تعلمتم منه العلم ، ولا تكونوا جبابرة العلماء »[10] .

ومن حرصه رضي الله عنه على انتشار العلم بين أبناء المسلمين على مختلف أعمارهم أن أمر أناساً بالوقوف على قارعة الطرقات ليفحصوا المارة عما إذا كانوا يجيدون القراءة والكتابة . فإذا تبين لهؤلاء إن بعضاً من المارة لا يجيدون ذلك أمروا بأخذهم إلى أماكن مخصصة ليتعلموا فيها[11] .

من خلال عرضنا السريع في الصفحات السابقة ـ للشواهد والأدلة التي بينت لنا المواقف الإيجابية العظيمة التي أتخذها الإسلام العظيم بتعاليمه السمحاء من التعليم بصورته الشمولية والمتمثلة في التشجيع المتكرر والحث المستمر للمسلمين على حد سواء ـ على أن يقتنوا العلم ، ويتزودوا منه بقدر طاقة كل فرد ، والمتمثلة كذلك في عدم اقتصار التعليم على فئة قليلة أو على أولئك الذين هم في المراحل الأولى من العمر والتي تعرف بمراحل ما قبل سنوات الرشد ، يمكن للمرء أن يستخلص جملة من الحقائق التي مفادها أن الإسلام قد أولى اهتماماً كبيراً بتعليم الكبار ، وتشجيعاً عظيمًا لهم على أن يتعلموا . ولسنا بمبالغين إذا قلنا إن الإهتمام الذي أولاه الإسلام لتعليم الراشدين ليس بأقل من ذلك الإهتمام الذي حظي به أولئك الذين هم دون سن الرشد . ويبرز صدق هذا القول في الحقائق التالية :

أولاً : إن أول أمر يتلقاه محمد ﷺ من ربه جل شأنه هو ذلك الأمر المتعلق بالقراءة في أول سورة نزلت عليه ﷺ والتي قال فيها سبحانه وتعالى : ﴿ **إقرأ باسم ربك الذي خلق** . . . . . ﴾ إلى آخر الآيات . وكما ذكرت سلفاً كان يومها النبي محمد قد تجاوز مرحلة الطفولة بعشرات السنوات ، الأمر الذي يدعو إلى القول بأن الإسلام قد ألزم الكبار القراءة قبل أن يلزم الصغار بذلك .

ثانياً : إن فرائض الإسلام كالصلاة وأركانها ، والصوم وأحكامه ، والحج وشروطه التي أوجبها الله على المسلمين الراشدين العاقلين دون الصبية او الأطفال تستلزم بالضرورة نسبة عالية من المسلمين الراشدين الملمين بأسس القراءة والكتابة ، لأن مثل هذا الإلمام يساعدهم ـ بدون شك ـ على الفهم الصحيح لقواعد دينهم الحنيف ، ويساعدهم كذلك على تدوينه وتوثيقه . أي أنه عن طريق القراءة يمكن للمسلم الرجوع إلى المصادر المختلفة لقراءتها وفهم ما جاء فيها من أمور تتعلق بشؤون الدين فهمًا جيداً .

وعن طريق الكتابة يمكن له أن يدون آيات الله سبحانه وتعالى وأحاديث نبيه ﷺ خشية الضياع أو التحريف .

ثالثاً : إن قراءة القرآن والتمتع بترتيله قد أعتبرت من السنن الحميدة التي ينبغي على المسلم الراشد العاقل أن يقوم بها . هذا وقد وعد الله سبحانه وتعالى المرتلين لآياته أجراً عظيمًا إذ قال عظمت قدرته في محكم التنزيل : ﴿ **إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور** ﴾ . (فاطر : 29) . وقال مخاطباً نبيه ﷺ : ﴿ **واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك** ﴾

(الكهف : 27) . وقال : ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ وقال : ﴿ فاقرءوا ما تيسر منه ﴾ (المزمل : 20) .

إذن فكيف للمرء أن يلبي طلبات ربه هذه ويقوم بتلاوة كتابه العزيز إذا لم يكن قد حفظ هذا الكتاب عن ظهر قلب أو كان في مقدوره أن يقرأه من المصحف الشريف ؟ . وكيف يكون في مقدوره أن يقرأ إذا لم يتعلم ذلك ؟ . إذن فالتعليم من الأمور الضرورية للمسلم الراشد . ولذا فليس من المستغرب أن يشجع الإسلامُ عليه ويدعو إليه .

رابعاً : إن كل ما جاء به القرآن الكريم من آيات بشأن العلم والتعليم وما جاء على لسان النبي الكريم من أحاديث شريفة ، وما اتخذه من مواقف في هذا الشأن، وما نقل عن الصحابة الأجلاء من حكم وآثار تشجع على التعليم وتحث عليه ، إنما هي في حقيقة أمرها دعوات موجهة إلى جميع المسلمين بغض النظر عن الجنس أو المستوى التعليمي الذي يتمتع به الراشد . فعندما قال النبي إن طلب العلم فريضة على المسلم ، لم يفرق بين المسلم الكبير والصغير ، ولا بين الأميّ وغير الأميّ ، بل جعله فريضة على كافة المسلمين .

خامساً : إن طلب العلم والسعي إليه لم يحدد من قبل الإسلام بفترة زمنية معينة ، أو بمرحلة محددة من مراحل العمر المختلفة والمعروفة لدينا الآن بمراحل العمر الثمانية ، بل قال ﷺ بطلبه منذ الولادة إلى يوم الوفاة سواء طال العمر أو قصر. فلو لم يُـرد للمسلم الراشد أن يتعلم طيلة سنوات حياته لقال ﷺ اطلبوا العلم من المهد إلى الرشد أو إلى سنوات البلوغ أو إلى السنة العاشرة أو الثانية عشرة. ولكن نتيجة لحرص الإسلام الشديد على انتشار التعليم بين المسلمين لمختلف طبقاتهم ومراحل أعمارهم واختلاف مستوياتهم حرص على أن يكون السعي في سبيل العلم مستمراً دون توقف .

يمكن أن يلاحظ على هذه الدعوة الكريمة والمبادرة الرائعة شيئان مهمان هما :

1 ـ إن الإسلام قد حاز قصب السبق على مفكري الغرب ومربيهم في مجـال ما يعرف عندنا اليوم بالتربية المستمرة والتربية مدى الحياة في مجال تعليم الكبار . فقد جاء الإسلام بهذه المبادرة قبل أربعة عشر قرناً من الزمان . في حين إن تعليم الكبار حسب هذا المفهوم لم يعرف في بلاد الغرب إلا في مدة لا تتجاوز المائة والستين سنة . أي أن حركة تعليم الكبار لم تبدأ في بريطانيا إلا عام 1924 ، وفي أمريكا إلّا عام 1929 . ناهيك عن بعض الدول الاوروبية الأخرى التي لم تعرف هذا التعليم إلا بعد منتصف القرن التاسع عشر .

إن تعليم الكبار عرف في البلاد العربية والإسلامية قبل هذا التاريخ بمئات السنين كما ذكرت سابقاً . أي منذ ذلك الوقت الذي كان فيه المسلمون يأتون من كل مكان ليتعلموا بمسجد قباء سالف الذكر والذي يعتبر من أوائل مراكز تعليم الكبار . كان يُعطي في هذا المركز (إذا صحت التسمية) نوعان من الدروس :

- دروس أولية تتمثل في تعليم مبادىء القراءة والكتابة والدين . وهذا البرنامج يشبه تماماً بما نسميه اليوم ببرامج محو الأمية أو ببرامج التعليم الأبجدي .

- دروس متقدمة تهتم بتدريس القرآن وفهم معانيه ودراسة قضايا كثيرة تتعلق بشؤون الدين والدنيا .

وقد كان هذا المسجد بداية لتأسيس مساجد أخرى كثيرة شيدت في تلك البلدان التي تم فتحها على أيدي جيوش المسلمين كمصر ، والعراق ، وبلاد الشام ، والمغرب العربي ، وبلاد الأندلس وغيرها . تلك المساجد التي أصبحت مصادر إشعاع فكري وأماكن رئيسة لتعليم الكبار لمختلف فروع العلم والمعرفة من قرآن وسنة وفقه ، وطب ، ورياضيات ، وفلك ، وفلسفة ، وقواعد اللغة العربية وآدابها وبعض اللغات الأجنبية التي قد حثّ النبي الكريم على تعلمها حيث قال : « من تعلم لغة قوم أمن شرهم » .

ففي الوقت الذي كانت فيه المساجد تقوم بوظائفها الدينية والعلمية ، وتقوم كذلك بشتى وسائل التشجيع والترغيب لملايين الكبار من المسلمين ، كانت الكنائس في بلاد الغرب تمنع التعليم منعاً باتاً وتحرمه تحريماً قطعياً . يقول سعدون الساموك : « في الوقت الذي كانت فيه الكنيسة تحارب العلم والعلماء وتقف في وجه أي فكرة تنبثق من رجالاتها لتعليم الناس وتثقيفهم ، نرى ان المساجد الإسلامية قد انقلبت بعد أداء شعائر الصلاة إلى مدارس وحلقات لتدرس الصغار والكبار القراءة والكتابة والعلوم الدينية ، وتدرسهم العلوم المقارنة ، اليونانية والرومانية »[12] . ويروي المقدسي ، أنه شاهد يوماً في جامع الفسطاط بمصر وحده بين المغرب والعشاء أكثر من مائة حلقة خاصة بالعلماء وطلاب العلم[13] . وإن دل هذا التعدد والتنوع في حلقات الدروس التي يعقدها علماء المسلمين لتعليم طلبتهم الكبار داخل المساجد على شيء فإنما يدل على مدى الإهتمام العظيم الذي أولاه الإسلام بتعليم الكبار .

2 ـ ومما يلاحظ على المبادرة الكريمة التي جاء بها الإسلام بصدد تعليم الكبار أن كثيراً من دول العالم عندما شعرت بفائدة تعليم الكبار وقامت ببعض التشريعات وسن بعض القوانين التي تلزم الكبار بالانخراط في بعض البرامج التعليمية المعدة خصيصاً لهم ، فإن هذه الدول قد قيدت الإلـزام بوضع شرطين أساسيين لذلك ، هذان الشرطان هما العمر والمستوى التعليمي .

أمّا شرط العمر فيقصد به أن الزامية الإنخراط في هذه البرامج لا ينطبق إلا على فئة معينة من الكبار والمتمثلة في أولئك الذين تقع أعمارهم ما بين الخامسة عشرة والخامسة والأربعين . أما ما عدا هذه الفئة من الكبار فإنهم غير ملزمين بالإنخراط .

أما شرط المستوى التعليمي فيقصد به إن الكبير سيكون ملزماً بالإنخراط في برامج تعليم الكبار إذا لم يصل مستواه التعليمي مستوى الصف الرابع الابتدائي . فإذا تعدى هذا المستوى ، فإنه لا جناح عليه

إذا لم ينخرط .

أما الإسلام فقد تجاوز هذين الشرطين بجعْله طلب العلم فريضة على كافة المسلمين وطلبه يبدأ مع ولادة الفرد وينتهي او يتوقف بالوفاة ، باعتبار أن هذين الشرطين يحدان من فعالية هذه البرامج ، إذ أن مجموعات كبيرة ستكون خارج دائرة الالزام إما بسبب العمر أو بسبب بلوغ هذا المستوى البسيط من التعليم والذي لا يزيد على كون الفرد يعرف المبادىء الأولية للقراءة والكتابة والحساب .

ومن الحقائق المنطقية والعقلية التي تجعل المرء يجزم بإيجابية موقف الإسلام الخالد من تعليم الكبار ما يلي:

1 ـ الانتشار السريع لمختلف أنواع العلوم والمعارف بين جموع المسلمين في فترة وجيزة من الزمن . فعندما بزغ على البشرية فجر الإسلام لم يكن في شبه الجزيرة العربية إلاّ نفر قليل ممن يعرفون القراءة والكتابة . فقد قيل انه في تلك الأثناء لم يوجد إلا اربعة عشر رجلاً في قريش جميعها وهي التي تعتبر من أعظم القبائل العربية وأنبلها !! ـ غير أنه لم يمر على ظهور الإسلام إلا أعوام قليلة حتى كثر عدد المسلمين الذين يجيدون القراءة والكتابة . وذلك بفضل تشجيع الإسلام لذلك والمتمثل في إعطاء الدروس المختلفة في المساجد والحوانيت .

2 ـ الفتوحات الإسلامية التي وصلت إلى أقاصي الهند والصين شرقاً ،و إلى بلاد الأندلس غرباً . وهذا يتطلب بالضرورة إيجاد قيادات جيدة حتى يتسنى لها أن تفهم عادات وتقاليد ولغات هـذه الأمم . وللحصول على مثل هذه القيادات لا بد من الإعداد الجيد قبل تكليفهم بمثل هذه المهام

3 ـ نظراً لانتشار الإسلام واتساع رقعة بلاد المسلمين ، وبُعد الولايات عن مركز الخلافة فلا بد من الاعتماد الكبير في الاتصال ما بين الولاة وخليفة المسلمين على المكاتبات . وهذا بدوره يحتاج إلى أناس يجيدون القراءة والكتابة . إذن فلا بد أن يكون ساسة المسلمين قد راعوا ذلك وقاموا بتعليم أعداد كثيرة من المسلمين .

4 ـ إن الدور الكبير والخطير الذي أنيط بالمسلمين الكبار والمتمثل في نشر الدين الحنيف ، وقيادة الجيوش ، وإدارة البلاد المفتوحة ، وتوقيع معاهدات الصلح مع الخصوم ، والقيام بالمراسلات الداخلية بين المسلمين أنفسهم والخارجية بين قادة وولاة المسلمين وبين خصومهم من أكاسرة وأباطرة يتطلب نوعاً من الاعداد الجيد لهؤلاء الكبار في الجوانب العلمية والثقافية والدينية .

5 ـ إن بناء الدولة الإسلامية العصرية المتحضرة الذي كان يطمح اليه جميع المسلمين يحتاج إلى تشريعات ، وقوانين ، ونظم إدارية وغيرها من الأمور التي تعمل على تنظيم وتسيير شؤون الدولة ، إن هذا كله لا يحتاج فقط إلى أناس يعرفون مبادىء القراءة والكتابة فحسب ، بل يحتاج إلى من يجيدها ويبدع فيها . ومن المستبعد أن يسعى المسلمون إلى بناء الدولة العصرية دون الأخذ في الاعتبار إيجاد مقومات هذه

الدولة . يقول « جفرسون » « إذا توقعت أمة أن تعيش في دولة عصرية متحضرة مع بقائها على جهلها ، فإنها توقعت شيئاً لم ولن يحدث »[20] .

6 ـ إن الحركة العلمية والأدبية التي شهدها العالم العربي والإسلامي والتي شهد بها حتى ألد خصومه لا بد أن تكون حركة شاملة بحيث تشمل الصغير والكبير ، والذكر والأنثى . يقول سعدون الساموك مبيناً مدى اهتمام المسلمين بانتشار العلم والمعرفة آنذاك : « . . . كانت المدارس والمساجد تنتشر في أرجاء المدن . يقوم شيوخها بتعليم الصغار الكتابة والقراءة ، وتعليم الكبار ما ينقصهم من أمور العلم والتربية »[21] .

ويقول في موضع آخر : « . . . فتأسست المدارس والمشايخ منذ العصور العباسية الأولى لتدريس صغار الناس وكبارهم القراءة والكتابة والانطلاق بهم نحو مختلف التخصصات العلمية . . . وبدأ الخلفاء بتشجيع أصحاب المواهب على التأليف والنظم والترجمة »[22] .

ويقول احمد شلبي : « وازداد عدد الكتاتيب وعدد المعلمين في القرن الثاني الهجري وما تلاه وكانت زيادة سريعة وضخمة حتى أصبح بكل قرية كتاب بل ربما وجد فيها أكثر من كتاب »[23] .

وخلاصة القول :

بناء على ما تم عرضه في الصفحات السابقة من هذا البحث والذي كان في مجمله اقتباسات متعددة من كتاب الله عز وجل ومن سنة رسول ﷺ ومن أقوال الصحابة رضوان الله عليهم يتبين لنا أن موقف الإسلام من التعليم بصورته الشمولية كان موقف المشجع والداعي إلى السعي في سبيل العلم والمعرفة من أي مصدر كان وبأي طريقة ممكنة .

وأنه قد اهتم بتعليم الكبار بصورة خاصة وذلك لأن الله سبحانه وتعالى كلف المسلم الراشد بتلاوة القرآن وفهم معانيه ، والقيام بشعائر الدين ، والعمل على نشره في جميع أنحاء المعمورة . وليس هذا فحسب بل إن مسؤولية نشر الدين الحنيف ، واتساع الدولة الإسلامية ، ومناشدة المسلمين للرقي والتقدم ، والمسؤوليات الجسيمة في إدارة شؤون هذه الدولة المترامية الأطراف ، والطموحات التي تخالج نفوس قادة المسلمين في وضع أسس جديدة لدولتهم مفادها التشريعات وسن القوانين ووضع النظم الإدارية ، وابرام المعاهدات والاتفاقيات ، كل هذا يتطلب نوعاً خاصاً من التعليم والمعرفة ويجعل المسلمين يفكرون في أحسن السبل التي يمكن بها إعداد المسلمين الكبار بالصورة التي تجعلهم قادرين على تحمل جميع هذه المسؤوليات . وقد تبين للمسلمين إن خير سبيل لذلك هو إتاحة الفرصة لكل مسلم كبيراً كان أو صغيراً ، ذكراً أو أنثى أن ينال نصيبه من العلم والثقافة . وذلك كما ذكرت سابقاً ليكون في مقدوره أن يفهم دين الله ، وأن يدافع عنه ، ويدعو إليه ويبشر به . يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً** ﴾ (الأحزاب : 23) .

الهوامش

(1) عمر التومي الشيباني ، فلسفة التربية الإسلامية ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ـ ليبيا 1975 . ص 185 .

(2) أبو حامد محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، دار المعرفة ـ بيروت . ص 280 .

(3) محمد بن علان الصديقي المكي ، رياض الصالحين بشرح نزهة المتقين . جـ 2 بيروت . 1977 . ص 952 .

(4) قحطان عبد الرحمن الدوري ، « أصول تلقي العلوم في المجتمع الإسلامي ، مجلة تعليم الجماهير (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ بغداد ـ العدد 14 ـ السنة السادسة ـ يناير 1979 ـ ص 13 .

(5) عمر التومي الشيباني ، مصدر سابق ص 188 .

(6) ابو حامد محمد الغزالي ، مصدر سابق . ص 20 .

(7) عمر التومي الشيباني ، مصدر سابق . ص 189 .

(8) عمر التومي الشيباني مصدر سابق . ص 189 .

(9) علاء الدين علي المتقي الهندي ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال . ص 2 حيدر آباد 1962 .

(10) أحمد حقي الحلي ـ المعلم ودوره في التربية العربية الإسلامية ، مجلة تعليم الجماهير ـ (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . بغداد ـ العدد 14 ـ السنة السادسة يناير 79 . ص 42 .

(11) أحمد شلبي ، تاريخ التربية الإسلامية . ط 4 مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ص 45 .

(12) سعدون الساموك ، « التراث والعلم ، نظرة مقارنة » مجلة تعليم الجماهير ـ بغداد العدد 14 السنة السادسة ـ 1979 ـ ص 71 .

(13) فارق عمر فوزي «التعليم الالزامي وتعليم الكبار في التراث العربي الاسلامي » مجلة تعليم الجماهير ـ بغداد ـ العدد 14 ، السنة السادسة ـ 1979 ـ ص 35 .

(14) Barton Morgan it- **Methods in Adult Education** Houghton Mifflin Co. Boston: NY. 1976.p. 10

(15) سعدون الساموك ـ مصدر سابق ـ ص 71 .

(16) سعدون الساموك مصدر سابق ص 70 .

(17) أحمد شلبي ـ تاريخ التربية الإسلامية ـ دار الكشاف للنشر ـ بيروت 1954 .ص 152 .